# تأمّل في "معاني ميلاد الربّ يسوع"

للأب ابراهيم سعد

٢٠١٦/١٢/٦

**في لقائنا التحضيريّ لعيد الميلاد،** اليوم، سنقوم بقراءةٍ لحدث الميلاد، تُساعدنا على القيام بإعادة قراءة لطريقة عيشنا له فَنُحَسِّن فيها، ونعيش العيد هذه السَّنة بطريقة أفضل تجعلنا نشعر بمعناه الحقيقيّ.

**إنّ مشكلة النّاس في هذا العيد** هي في تركيزهم على فكرة عيد الميلاد، أكثر من تركيزهم على الشخص المولود الّذي نحتفل بميلاده، وهذا ما يدفع الإنسان إلى عيش صراعٍ داخليٍّ بين ما هو للعالم، وما هو لله، أي بين ضجيج هذا العالم وهدوء المولود. وللأسف، إنّ غالبيّة أولادنا اليوم، يعتقدون بأنّ "بابا نويل" هو أساس العيد، وَهُم ينتظرونه بشوقٍ. وعلى الرّغم من إضافة الطابع الروحيّ على هذه الشخصيّة،كونها ترمز إلى القدِّيس نيقولاوس بالنسبة للكثيرين، إلّا أنّ وجود هذه الشخصيّة في العيد لا يؤدي إلى البُنيان الروحيّ.

**على المؤمن أن يُدرِك ويُميِّز في هذا العيد،** إنْ كان يعيش حقًّا عيد الميلاد، أم أنّه يحتفل بمناسبة أخرى في هذا العيد. إنّ الكلام عن الزواج يُشير إلى وجود شخصين مُتزوِّجَين، والكلام عن الموت يتطلّب بالضرورة وجود مَيِّت، والكلام عن الصَّلب يُشير إلى وجود مصلوب، والكلام عن الصَلاح يُشير إلى وجود صالحين، والكلام عن الفساد يتطلّب وجود فاسدين، والتكلّم عن الميلاد ينبغي بالضرورة وجود مولود. وبالتّالي، فإنّ وجود الشخص هو الّذي يدفعنا للتكلّم عن الحدث. إذًا، في هذا العيد، علينا أن نتخلّى عن فكرة عيد الميلاد، ونعتمد الفكرة القائلة إنّ هذا العيد، هو عيد ميلاد الشخص المولود أي الربّ يسوع المسيح.

**إنّ كثيرين من بينكم، قد اختبروا ولا شكّ،** ولادة طفلٍ في العائلة، أكان ابنًا أم أخًا أم أختًا. ولا شكّ أيضًا، أنّ مجيء مولود جديد إلى العائلة، يُحدث تغييرًا في حياة الأهل بشكلٍ أساسيّ، إذ يصبحون غير قادرين على تجاهل وجوده على الرّغم من عدم قدرته على الكلام أو المشي. إنّ حياة الأهل تُصبِح مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بهذا المولود الجديد، فهو يقتحم زمان، ويوميّات، وهموم العائلة، واهتمامتها، ويفرض وجوده فيها. لذا نجد أنَّ الأهل قد يرفضون الاشتراك في مناسبات عديدة، بحجّة المولود. إنّ المولود الجديد يُدخِل حياةً جديدة إلى حياة الأهل، إذ يتمّ مناداة الأهل بألقابٍ تحمل أسماء أبنائهم، لا بأسمائهم المتعارف عليها. إنّ ولادة طفلٍ قادرةٌ أن تُحدِث تغييرًا في عائلة المولود، وتربط الأهل ارتباطًا وثيقًا به، وتجعل منه محور كلّ أحاديثهم. هذا، على المستوى البشريّ، فما القَول عن ولادة الإله في مذود؟ إنّ السؤال الّذي يُطرح هو كيفية مواجهة الإنسان لهذا المولود الجديد في عيد ميلاده. إنْ سمح الإنسان ليسوع المولود في مذود أن يَدخُل إلى حياته، فهذا يعني أنّ يسوع قد اقتحم كلّ زمان المؤمن ويوميّاته، وبالتّالي أصبح من الصعب جدًّا عليه العيش بمعزلٍ عنه، فهو قد أصبح مِن صُلب حياته اليوميّة. وإنْ قرّر الإنسان أن يتجاهل المولود

لبعض الوقت، فإنّه يتحوّل في نظرته إلى ذاته، إلى خاطئ، وهذا بالضبط المفهوم الحقيقيّ للخطيئة، إذ تجعل الإنسان ينسى أو يتناسى يسوع، جاعلةً من المسيح على هامش حياة الإنسان. إنّ الإنسان يَتمَتَّع بنوعٍ من "الاحتيال الذّكي" بتشريع الخطيئة لبعض الوقت ريثما يرتكبها، ثمّ يعود إلى الله ذارفًا الدّموع، عَلَّ الله يقتنع بتوبته فيُسامحه. إنّ مِثْلَ هذا الإنسان يقوم باستغلال محبّة الله وحنانه. إنّ دخول المولود إلى حياة المؤمن، يَضَعُه أمام مواجهة حقيقيّة معه، وبالتّالي فهو يسمح للمولود بإحداث تغييرٍ في حياته.

**في مسيرتنا صوب العيد، يجب أن نطرح** على ذواتنا هذا السؤال: ما هو التغيير الّذي يمكن أن يحصل في حياتنا إنْ سمحنا للمولود بالدّخول إليها؟ أَسَيَطال التغيير نمط حياتنا وسلوكنا وكلامنا، ونظرتنا إلى الأمور؟ إنْ دَخَلَ المولود الإلهيّ إلى حياة المؤمن من دون إحداثِ تغييرٍ في حياته، فهذا يدّل على أنّ هذا المولود قد تحوّل، بالنسبة إلى المؤمن، إلى إله مكان، وهذا يشكّل مشكلة تحتاج إلى إيجاد حلٍّ لها. إنّ المولود الإلهيّ هذا، يستحيل على الإنسان رؤيته في مغارة بيت لحم اليوم، أو في أيّ مكانٍ آخر، لأنّ هذا المولود الإلهيّ ليس إله مكان بل إله حَدَثْ. إنّ المؤمن يعيش نتائج تلك الولادة ومفاعيلها، إذ لا يمكن أن تبقى حياته بعد ولادة المسيح كما كانت قَبْلَها. والسؤال الّذي على المؤمن أن يطرحه على ذاته هو: ما هي التغييرات الّتي أحدثتها هذه الولادة في حياته؟ في العهد القديم، سأل موسى الربّ عن اسمه ليُخبِر به الشعب، فأعطاه الله هذا الاسم:"أَهْيِه أَشِر أَهْيِه"، ومعناه في اللّغة العربيّة،"أكون الّذي أكون"، أي من خلال هذا الاسم، أراد الله أن يؤكّد للشعب أنّه إله حَدَثْ إذ إنّه سيُعرِّفهم إلى ذاته من خلال أفعاله في حياتهم اليوميّة. إنّ اللّيتورجيا كالقدّاس مثلاً، تَهدفُ إلى إدخال المؤمن في الحدث، وعيشه له في العمق. إنّ الخطورة في تحويل الله إلى إله مكان، تكمن في إدخال الله في حالة من الصنميّة، وبالتّالي حَصرِه في مكان واحدٍ معيّن دون باقي الأماكن، فيصبح الله عندها "إله مدينة بيت لحم". هناك اعتقادٌ سائد بأنّ الأماكن المقدّسة هي فقط تلك الأماكن الّتي زارها يسوع، غير أنّ هذا الاعتقاد خاطئ. إنّ الله قَدَّسَ الإنسان، وبالتّالي حيث يتواجد الإنسان يصبح المكان مقدَّسًا، فالكنيسة تصبح مقدّسة عندما يجتمع فيها المؤمنون للصّلاة والاحتفال بالافخارستيّا، وبالتّالي فإنّ الكنيسة الّتي لا يرتادها أحد ليست مقدّسة. إنّ الإنسان هو من يُقدِّس المكان، وليس العكس أبدًا، ولذا نرى أنّه عند بناء الكنائس يتمّ وَضْعَ ذخائر للقدّيسين تحت المذبح، وبهذا الفعل تصبح الكنيسة مقدّسة. إنّ القدّيس هو مَن سمح لله بدخول حياته وتغييرها، لأنّه قد قَبِل الدخول في حدث المسيح الخلاصيّ. إذًا، في "عيد الميلاد"، على المؤمن أن يسمح للمولود بدخول حياته، فيَقبَل مواجهة المولود والتحديّات الّتي يضَعُها أمامه والتغييرات الّتي ستَطرأ على حياته بفِعل دخول هذا الإله الحدث.

**على المؤمن أن يبحث عن التغيير** الّذي تُحدِثُه ولادة المسيح يسوع في حياته، بمعنىً آخر، على المؤمن أن يحاول إيجاد جوابٍ على السؤال التّالي:"ما هو مفعول ولادة المسيح يسوع في حياته؟"، أي كيف أدْرَكَ المؤمن حقيقةً أنّ المسيح قد وُلِد فِعلاً فيه. إنّ النّحات يستخدم أدواتٍ مُعيَّنة كالإزميل والمطرقة، ليَصنَع بواسطتهما منحوتته، والأمر

مشابه مع الله، إذ يستخدم أدواتٍ فعّالة في نحتِه للمؤمن كي يصبحَ صورة متطابقة لصورة الابن. إنّ استخدام النّحات لأدوات النّحت على الصخرة، لا بدّ لها أن تترك آثارًا فيها، وكذلك عَمَلُ الله، فإنّه يترك آثارًا في حياة المؤمن. هذه الآثار هي ثمار الروح القدس، فإنْ ظَهرَتْ تلك الثمار في حياة المؤمن فهذا يُشير إلى ولادة المسيح فيه، والربّ سيستمّر في النّحت إلى أن يصل المؤمن كي يكون ابنًا لله على مثال يسوع. وإن لم تظهرْ ثمار الرّوح في حياة المؤمن، فهذا يُشير إلى أنّ المسيح لم يُولَد فيه بعد، ولذا فإنّ هذا الوقت لمقبولٌ عند الرّب، فلنسعَ ولنطلب من الربّ أن يُولَد فينا. إذًا، عيد الميلاد، هو عيد ولادة المخلِّص في حياة المؤمن الّتي يمكن تَلَمُّسَها من خلال علاماتٍ وآثار، هي ثمار الرّوح القدس.

**على المؤمن أن يبحث عن علامات ولادة المسيح في حياته.** إنّ البعض قد يَرَوْنَ في عودتهم إلى حياة الصلاة علامةً تُظهِر ميلاد الرّبّ في حياتهم، غير أنّ آخرين قد يجدون علاماتٍ أخرى في حياتهم. إنّ كلّ نحّات يَرسُم منحوتَتَه في فِكرِهِ قَبْلَ أن يبدأ بتنفيذها فعليًّا على الصخرة، وتتحوّلُ الصّخرة في النّهاية إلى منحوتَةٍ رائعة، تجعل من يَراها يُمجِّد الله. إيجابيّة الصخرة هي أنّها تتقبّل النّحت والضرب من النّحات من دون اعتراض، غير أنّ الإنسان هو في حالة اعتراض مستمّر على عَمَلِ الله في حياته، فهو لا يقبل أي تغيير قد يصنعه الله فيه، ولذا فإنّ الله لا يستطيع أن ينتهي من صُنعِ منحوتته في الإنسان. إنّ الله يريد أن يَصنعَ مِنَ الإنسان منحوتة جميلة، فهو يريده أن يُصبح صورةً عنه، إذ لا صورة أجمل وأكمل من صورة الله. إنّ حالة الاعتراض الموجودة في الإنسان تُعرقل عَمَلَ الله فيه، وَتُشَوِّه المنحوتة. إنّ يسوع لم يعترِض على عمل الله أبيه فيه، لذلك أصبح أيقونة أبيه الكاملة، وبالتّالي فقد تحقّقت في يسوع منحوتة الله الآب. إنّ يسوع المسيح هو الصورة الّتي أراد الله أن يَنحَتَها في الإنسان، بأنْ يجعلَه ابنًا له، ويُعبّر الله عن فرحته في صُنعِه هذه المنحوتة فيقول فيها:"إنّه ابني الحبيب الّذي به سُرِرْت"، كما يقول عنها أيضًا: "أنت ابني، وأنا اليوم وَلَدْتُكَ". إنّ أكبر هفوات المسيحيّين هي أنّهم يذهبون إلى العيد، عارِفين سلفًا أنّ العيد موجود. على المؤمن الحقيقيّ، أن يذهب إلى العيد والدهشة تغزو قَلبَه لرؤية المولود. إنَّ تَفاجُؤ المؤمن لدى رؤيته المولود، يُؤمِّن له توازنًا روحيًّا، إذ يجب أن يعيش المؤمن هذا العيد، بطريقة مختلفة عن العيد في السَّنة الماضية. إنّ المرأة الحامل تنتظر ساعة ولادتها للطفل، فهو أَمْرٌ متوّقع بالنسبة لها، غير أنّها تندهش لدى رؤيتها للمولود في الحياة، لأنّ صورته في مُخيِّلتها قد تكون مختلفة بعض الشيء عن الحقيقة. إنّ المولود الجديد، إذًا، يُحدِث دهشةً عند أهل بيته، على الرّغم من تَحضُرِّهم لمجيئه. إخوتي، لنتعامل مع يسوع المولود، كما نتعامل مع الأطفال المولودين حديثًا، وَلنَنْظُر إليه بدهشة، وفي قلبِنا رغبة لرؤية المفاجآت الّتي تحملها تلك الولادة. إنّنا نذهب في الكثير من الأحيان إلى العيد، بلا دهشة، وكأنّه أصبح أمرًا طبيعيًّا وعاديًّا في مِثل هذا الفترة الزمنيّة من السَّنة. كما أنّنا قد نربط في كثير من الأحيان شعورنا بفرح العيد بالمظاهر الخارجيّة كرؤية الزينة والأضواء المخصّصة للاحتفال بهذا العيد، وكأنّها هي أساس العيد.

**على كلّ مؤمن أن يطرح السؤال على نفسه:** أين تكمن دهشة العيد في حياته؟ إنّ الكثيرين يذهبون إلى العيد من دون دهشة، وهذا ما يتمّ التعبير عنه في بعض الألفاظ المستخدمة في سبيل تهنئة بعضنا البعض بالعيد،كـ"أعاد الله عليكم هذا العيد"، و"كلّ سنة وأنتم بخير". إنّ عبارة "أعاد الله عليكم هذا العيد"، تعني أنّ هذا الإنسان يتمنّى لأخيه الإنسان أن يعيش العيد، السَّنة المقبلة كما عاشه هذه السَّنة من دون أي تغيير. وإنّ عبارة "كلّ سنة وأنتم بخير" تُشير إلى أنّ مركز العيد هو الإنسان وليس الإله المولود. لذا علينا، نحن المؤمنين عدم استخدام مثل تلك التعابير للتهنئة بالعيد، لأنّها لا تُعبِّر عن حقيقة مفهومه، فالمؤمن الحقيقيّ عليه أن يسعى ليعيش كلّ سنة العيد، سامحًا للمولود بأن يُفاجِئه فيزرع في نفسه الدهشة لدى رؤيته. على المؤمن أن يتخلّى، في هذا العيد، عن كلّ الأفكار الّتي تجعله يُحوِّل هذا العيد إلى عيدٍ وثنيٍّ، والإله المولود إلى إله صنم، وذلك لا يعني بتاتًا، التّخلي عن كلّ ما فيه مظاهر العيد ومباهجه، من مغارة وزينة أشجار وسِواها، فإنّ الإنسان لا يستطيع التعبير عن فرحِه إلّا بأمور ماديّة ملموسة. إنّ على الإنسان المؤمن، ألّا يتصنَّع الدَهشَة: إنّ كلَّ مَن ينتظر مولودًا جديدًا في الحياة، يشعر بالدّهشة حين يشعر أنّ هذا المولود فيه، وكذلك المؤمن، فحين يشعر بالدهشة لولادة الربّ فيه، يرى التغييرات الّتي أجراها الله في حياته، وتتحوّل هذه التغييرات إلى المولود الخاصّ للمؤمن. إنّ المؤمن لا يُعيِّد ميلاد المسيح، إنّما يُعيِّد لمولُودِهِ بمناسبة ميلاد المسيح. وهنا تقع على عاتق المؤمن، أنْ يُميِّز إنْ كان هناك مولودٌ حقيقيٌّ في الداخل، أم أنّ المولود فيه هو نتيجة بهجة دنيويّة بالعيد.

**يستحيل على المؤمن أن يعيش فرح العيد من دون أن** يكون هناك مولود حقيقيّ في داخله، هو التغييرات الّتي تُحدِثها تلك الولادة. إنّ وجود مولود جديد في عائلة ما، يدفع الأهل إلى تغيير بعض العادات، كالسّهر الليليّ، وبالتّالي، فإنّ المولود الجديد يمنَع الإنسان المرتبط به من القيام بأمور كان يَعتبرها أساسيّة في السّابق، أي قَبلَ مَجيئه، وهو يتخلّى عنها إراديًّا، كتعبير عن فَرحِه بدخول هذا المولود حياته. وهذا المولود الإلهيّ، شأنه شأن سائر المواليد البشريّة، يُعطي رأيه في حياتك، فيطلب منك أن تُجري بعض التغييرات، فهل تَقبَل برأيه هذا، أم تَنتَظر أنْ يَظهر لك في حلمٍ أم أنْ يقوم بأعجوبة معك لكي تَقبل رأيه؟ ها نحن نقترب من عيد الميلاد، فلنذهب إليه، ونبحث عنه كما فعل المجوس، ولنسأل عنه كما فَعَلوا، قائلين:"أين هو المولود الجديد، ملك اليهود؟".

**في هذا الميلاد، على كلّ مؤمن أن يَرسُم أيقونة جديدة للمولود.** إنّ الأيقونة الّتي يقوم المؤمن بِرَسمِها لَأَبدَع مِنَ الأيقونة الّتي رُسِمَت في حَدَث الميلاد. ففي حَدَث الميلاد، خَضَعَتْ الخليقة بأَسْرِها للمولود الإله الّذي أنت مؤمنٌ به: فالسّماء قد أضاءت في اللّيل، والملائكة نقلت البشارة مُسبِّحةً ومُرنّمة، والأمم بِأَسْرِها قَدْ خَضَعَتْ للمولود من خلال المجوس الّذين جاؤوا المغارة حاملين الهدايا، والرّعاة قد تركوا قُطعانَهم وجاؤوا ليسجدوا للطفل الإلهيّ. إن الخروف هو مصدر معيشة كلَّ راعٍ، والرّعاة في حَدَث الميلاد كانوا مجهولي الهويّة، إذ لا أسماء لهم بحسَب الرواية. هؤلاء الرّعاة قَدْ تَرَكُوا مصدر معيشتهم ليَحضُروا أمام الإله ويَسجُدوا له، غير أنّهم لم يكونوا أوّلَ مَنْ تَرَكَ مصدر معيشته لِيَتْبَع الله.

ففي تاريخ الكتاب المقدّس، ترك ابراهيم أرضَه وعشيرته وكلّ ما له، ليلبّي نداء الربّ، فَذَهب إلى الأرض الّتي كان سيُريه إيّاها في الطريق. لقد ترك إبراهيم كلّ حياته، وأصبح بالتّالي بلا حياة. وإنَّ الإنسان لن يستطيع أن يفهم هذا الشعور: أن يكون "بلا حياة"، إلّا إذا اختبر معنى أن ينام جائعًا، أي أن يكون محرومًا مِنَ الطعام حين يكون بأمسّ الحاجة إليه. أنْ تكون بلا حياة، هو أنْ تكون محرومًا من الطعام وما يؤمّن معيشتك، غير أنّ الرّعاة قرّروا التخلّي عن الحياة، أي عن مصدر معيشَتِهم، من أجل رؤية المولود والسّجود له. إذًا، جاءت الدّنيا بأسْرِها لتسجد للمولود، أمّا أنتَ أيّها الإنسان، المخلوق، المهترِئ بأهوائك، فما زِلتَ تُفكِّر في أن تزور المولود، وتسجُد له؟! في هذا الميلاد، سَيَرسُم كلّ مؤمن حقيقيّ أيقونة الميلاد من جديد: فدُخول المولود الإلهيّ إلى حياتكَ، سيَطرُد عنك كلّ شعور بأنّك متروك، وحيدٌ، إنَّ فرادتكَ مرتبطة بمولودك. ها إنّ أيقونة الميلاد الجديدة بدأت تنجلي إذ أصبح المؤمن هو الحدث. وبالتّالي فإنّ الأيقونة الجديدة تُشبِهُ الأيقونة الأساسيّة للعيد، مع اختلافٍ وحيد، وهو أنّ المولود أصبح كلّ مؤمن بالمسيح. إذًا، عيد الميلاد هو عيد كلّ مؤمن، عيد ميلادِه الشخصيّ، ولذا عليه أن يفرح بنفسه. إنّ عيد الميلاد هو دعوةٌ لكلّ مؤمن كي يفرَح بذاته، حين يكتشف التغييرات الّتي أدخلها المولود الجديد بدخوله إلى حياة المؤمن. لا تبحثوا عن التغييرات الكبيرة في حياتكم لتكتشفوا ولادة المسيح فيها، بل ابحثوا عن التغييرات البسيطة، فتَتَمَكّنوا من رؤية مدى الشَبَه بينكم وبين المولود الإلهيّ، يسوع المسيح. وإنْ لم تتمكّنوا من اكتشاف هذه التغييرات، فاذهبوا إلى الصديق الحقيقيّ في هذا العيد، وهو يسوع المسيح، فَهوَ الوحيد القادر أن يساعدكم على إيجادها.

**إنّ الإنجيل يُكلِّمنا عن الصديق في الضّيق**، وهو بالتّالي يدعونا في هذا العيد إلى زيارة مَنْ هُم في ضيق لكي نَتَمكّن من الشعور بفرح ولادة المسيح في حياتنا. فإن قُمتَ بزيارة شخصٍ واقعٍ في الضِّيق، عندها ستختبر فرح العيد، وفرحُك سيكون مُضاعَفًا حينها، وتكون قد تمكّنت من اكتشاف التغيير الّذي حصل فيك نتيجة ولادة المسيح في حياتك، وإظهار الأيقونة الجديدة للميلاد، إذ أصبحْتَ أنتَ المولود الجديد. إخوتي، لا تَقبلوا بأنْ تحتفلوا بهذا العيد هذه السَّنة،كما يحتفل الوثنيون بأعيادهم، إذ تُصبحون سبب معثرة للآخرين في الكنائس الأخرى، ويستفيد التّجارُ من هفواتكم لينقلوا إليكم أفكارهم ومعتقداتهم البعيدة كلّ البُعْد عن معنى العيد. إنّ العيد لا يقتصر على مظاهر الزينة الخارجيّة، فإنّها كلّها تَهدِف إلى جعل المؤمنين يُضَيِّعون الهدَف والمعنى الأساسيّ للعيد.

**في أيقونة العيد، أشخاص لم أتكلّم عنهم** هُم اليهود وهيرودس. هؤلاء كانوا يجتهدون لإلغاء حَدَث الميلاد، عبر محاولة قتل صاحب العيد الحقيقيّ، فقامُوا بقتل كلّ الأطفال مِنْ عُمرِ سنتين وما دون، بُغيَة قتل المولود، وإلغاء الحَدَث، ولكنّهم فَشِلوا في إلغاء القصّة. إنَّ عددًا كبيرًا من المسيحيّين يَسعى إلى طَمرِ حَدَثِ الميلاد وقتل المولود، عبر تحويل نظر المؤمنين مِنَ المولود، إلى ضجيج العالم ومظاهر العيد الّتي لا تساعدهم أبدًا في عيش العيد. إنّني أشجعكم على تقديم الهدايا إلى الآخرين في هذا العيد، من دون انتظار مُقابل منهم على ما قدّمتُمُوه لهم. إنَّ كلمة "إهداء" تحمل مَعنَيَيْن: المعنى الأوّل هو تقديم الهدايا، أمّا المعنى الآخر فهو هداية النّاس إلى الطريق الصحيح، طريق يسوع

المسيح. إنّ هداية الآخرين إلى الطريق يتطلّب مِنْكم معرفة نوع الهديّة الّتي يجب أن تُقدِّموها لهم. على الإنسان أنْ يقوم أوّلاً بتقديم الهدايا إلى أحبّائه، فهذا يُشكِّل سبب فرحٍ لهم، ومن ثمّ عليه أن يسعى كي يقوم بإهداء أشخاص لم يعتادوا الحصول على هدايا في هذا العيد، ولا يعرفون معنى الهديّة، أي إلى الأشخاص الّذين لا يَرَون الهدايا إلّا في خيالهم، وفي أحلامهم. إنّ فلسفة الحلم ترتكز على واقعٍ يصبو الإنسان إليه، ولكنّه لم يصل إليه بعد، فالفقير المحتاج لا يسمح لنفسه بأن يحلم لأنّه يعلم أنّه لن يتمكّن من تحويل الحلم إلى حقيقة، لذا يلجأ إلى الخيال الّذي هو واقعٌ لن يتحقّق أبدًا. إخوتي، إنّ المؤمن الحقيقيّ لا يستطيع عيشَ معنى الميلاد الحقيقّي إنْ لم يجتهد لإدخال الفرح إلى قلب أشخاص قد نَسَوا معنى الفَرَح، لذا لا يجب أن نسمح للأوضاع الاقتصاديّة أوْ لِسِواها من الظُروف أن تمنعنا من إدخال البهجة إلى الآخرين. إنّ أفضل هديّة لشخص محتاج هي زيارتكم الشخصيّة له، أي حضوركم إلى جانبه في هذا العيد، محاولين أن تمسحوا الدّموع من عينيه، من خلال عطاءاتكم. إنّني أدعوكم إلى زيارة أحد القاطنين في حَيِّكُم، والّذي تعلمون أنّه عانى أو يُعاني من قَهرٍ مُعيّن في حياته. إنّني أدعوكم لزيارته محاولين إدخال الفرحة إلى قلبه. إنّ محبّتك للآخر تقتضي بأن تنتبه لحاجاتِه وتُلبِّيها من دون طلبٍ منه. على المؤمن أن يخدم إخوته البشر فيُحاول في هذا العيد أن يُلبّي حاجاتهم، لكنْ لا يجب عليه تلبية رغباتهم، فإنّ الرغبات قد تصل إلى الأهواء. إنّ المؤمن هو "خادم أَرجُل" إخوته، وليس خادمًا لأهوائهم ورغباتهم، ولذا عليه أن يطلب من الله نعمة التمييز فيعرف إنْ كان يلبّي حقًّا حاجات الآخرين أم أنّه يلبّي حاجات الإنسانيّة المجروحة فيهم. اسعوا إلى إفراح الآخرين في هذا العيد، فيَلِد المسيح في قلوبكم، ويغمُرَكم فرح المولود الإلهيّ، فإنّ العطاء بحسب القدّيس بولس مغبوطٌ أكثر من الأخذ.

**إنّ رداءة هذا الزّمن** لا تكمن في انتشار الفساد والشّر في العالم فحَسب، بل في شعور الصالحين بأنّهم قد أصبحوا شواذًا عن القاعدة الّتي يتَّبِعُها أبناء هذا العالم، فَهُم يشعرون بالنّدم على الخير والصلاح الّذي زرعوه في هذا العالم، إذ لم يَجِدوا جدوىً فيه. إنَّ أكبر حِيَل الشيطان لا تكمُن في إفساد النّاس، بل في جَعلِ الصّالحين في حالةٍ من الإحباط بسبب صلاحهم. إنّ أكثر شخص كان يَحُقُّ له أن يشعر باليأس هو يسوع المسيح لأنّه عانى من تلاميذه الّذين اختارهم، وقد عاشوا معه مدّة ثلاث سنوات، وعند أقدام الصّليب لم يتبقَ منهم سوى واحد هو يوحنا، أمّا الباقون فقد هربوا، فالبعض قد خانه، والبعض الآخر قد أنكره. فَهَل من حالة أسوأ من هذه، تَدْفَعُك إلى اليأس والإحباط؟! إنّ يسوع لم يشعر باليأس ولم يُحْبَط على الرّغم من ذلك، لأنّه تَذكَّر أنّه قادر على أن يجعل من الحجارة أبناءً لإبراهيم. في هذه الحالة الّتي عاشها يسوع نتيجة تركِ أحبّائه له، في مِحنَتِه هذه وَهوَ على الصّليب، نظر إلى لصّ اليمين الّذي كان يسأله أنْ يَذكُرَه حين يأتي في ملكوته، واستجاب لطِلبَته هذه، قائلاً إنّه سيكون معه في الفردوس، وبالتّالي فإنّ يسوع قد نقل هذا اللّص إلى مكانٍ لم يكن يحلم به وهو الفردوس. إنّ يسوع إذًا، لم يبقَ وحيدًا حين تركه أصدقاؤه، ونحن على مثاله، لن نشعر بالوحدة إنْ لم يتمكّن الآخرون من إدراك قيمةِ الخير الذي قدّمناه لهم. على الإنسان ألّا يفرح حين يرى نتيجة الخير الّذي قام به فحسب، بل يجب أن يكونَ فَرَحُهُ في عَمَلِ الخير الّذي يقوم

به بِغَضّ النّظر عن النتيجة. إنّ معرفة الآخرين لقيمة عَمَلِ الخير الّذي قُمْتَ به سيؤدي إلى المدح من قِبَل الآخرين، إضافةً إلى إعجابك بنفسك وغرورك نتيجة هذا المدح. أمّا إنْ رَفَضَ الآخرون معرِفةَ قيمة عَمَلِك الخيِّر تجاههم، فهذا سيؤدي بك إلى حالةٍ من الإحباط واليأس، وبالتّالي إلى عدم رغبتك في تكرار عَمَلِ الخير من جديد.

**في عيد المسيح المولود،** ابحثوا عن إحساس الولادة فيكم، إذ لا يجب أن تحتفلوا بالمسيح المائت في حياتكم ، فهذا العيد هو عيد الميلاد، لا الجمعة العظيمة. لا يجب أن تخجلوا من التكلّم عن المسيح وعن عَمَلِه في حياتكم، واسعوا لا إلى إقامة الدّنيا وإقعادها بل إلى إقامة المسيح المائت في حياتكم، فيُولَد من جديد فيها. إنَّ زينةَ العيد وكلّ مظاهرِه هي غير قادرة على إدخال الفرح الحقيقيّ إلى قلوبكم، لذا لا يجب أن تنظروا إلى العيد من الناحيّة الماديّة والمظاهر، وهذا أمرٌ يَصعُبُ على المسيحيّين الاقتناع به. إنَّ أعمال الخير هي قادرة على إدخال الفرح الحقيقيّ إلى قلوبكم إذ إنّها تسمح لكم باكتشاف التغييرات الّتي أحدَثَتها ولادة المسيح في حياتكم.

**ها إنّ العيد يقترب،** فلنذهب إلى المغارة، بقلوب تغمرها الدهشة لرؤية المولود والتغييرات الّتي ستُحدِثها ولادته هذه، في حياتنا، فيرى الجميع أيقونة عيد الميلاد الجديدة المنحوتة في داخلنا. آمين.

ملاحظة: دوِّنت المحاضرة مِن قِبَلِنا بِتَصَرُّف.